

دراسة مقارنة لمعرفة الله من وجهة نظر آية الله محمد باقر ملكي ميانجي و جان

كالوين

١

د. رضا برنجكار

٢

د. مهدي فدائي

الملخص: من وجهة نظر آية الله ملكي ميانجي، فان معرفة ذات الله المقدسة في الاديان التوحيدية ليست مجهولة و لا مشكوك بها، بل إنّ معرفة الله موضوعة أمانة في قلب وروح الانسان. من جانب آخر؛ فانه طبقا لاهيات كالوين، فإنّ كثيرا من الجهود المبذولة من أجل رفض و إنكار وجود الله و العيش من دونه، هو شاهد على وجود رغبة فطرية نحو الله. يؤكّد آية الله ملكي ميانجي و جان كالوين على وجود معرفة الله الفطرية في ذات الانسان. في هذا المقال حاولنا ان نناقش القواسم المشتركة و نقاط الخلاف بين هذين الرأيين.

كلمات مفتاحية: آية الله ملكي ميانجي؛ جان كالوين؛ مدرسة خراسان؛ المعرفة البسيطة؛ السكينة؛ مصدر المعرفة؛ المعرفة الفطرية.

١. استاذ في جامعة طهران.

٢. استاذ مساعد في كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة طهران.

عرض الموضوع

معرفة الله هي إحدى نقاط الاهتمام الرئيسية و الأساسية للشريعة القائمة على التوحيد. ففي النطاق الاسلامي، فان مدرسة «خراسان» المعروفة بالمدرسة التفكيكية تقوم على النظرية المعرفية و المنهجية حول كيفية فهم النصوص الدينية التي تؤكد على التمييز بين ثلاثة مناهج؛ منهج المعرفة الدينية اى منهج القرآن، ومنهج الفلسفة و منهج العرفان.

فأتباع هذا المنهج، عليهم الرجوع الى القرآن والسنة من أجل الحصول على الفهم الخالص و الصحيح للدين. و من أجل فهم الكتاب والسنة يجب الالتزام بالمعنى العرفي والظاهر النوعي للألفاظ المستفادة فى النصوص الدينية.

بما أنّ نشر و اشاعة التأويل فى النصوص الدينية و كلام الآخرين و عدم علمية هذ المنهج، فان الفهم الصحيح من المراد و المقصود ليس تأويل كلام قائله، لذلك فعلى كلّ عالم و باحث وعالم دين، تمييز و تخلص أيّ كلام وفكر و الامتناع عن الإلتقاط و التأويل و تطبيق تلك المقولة.

يعتقد اتباع هذه المدرسة، بأنّ على الانسان أن يلجأ الى القرآن و النصوص الدينية الأخرى ما أمكن، دون أن تكون عنده أية فرضيات مسبقة و دون الاعتناء و الاعتماد على المعرفة الفلسفية و العرفانية التي هي في كثير من الاحيان مخالفة للمعارف القرآنية، ولا يدخل الفرضيات الفلسفية و العرفانية في فهم النصوص الدينية حتى يحصل على الدرك الصحيح من هذه النصوص و أن يتخلص من التأويلات المغلوطة. نستطيع أن نشاهد ذروة هذه المنهجية فى قمة المعارف الانسانية أي معرفة الله.

يتقبل اتباع هذه المدرسة البيئونة الصفية بين الخالق و المخلوق التي تتحقق فيها معرفة الله بتعريف الله بنفسه. أي أنّ الله يعرف نفسه الى عباده و بعد هذا التعريف (كما يرى آية الله ملكي ميانجي) فإنّ الله قد خلق الأسماء والصفات حتى يتضرع العباد بها اليه و يدعونه و يعبدونه بها. إنّ هذه المعرفة تسمى بالمعرفة الفطرية. من جانب آخر، فان المعرفة الفطرية في الشريعة المسيحية

١. المدرسة التفكيكية تحدف الى فصل افكار البشر عن اقوال الوحي. ودراسة الوحي بصورة مستقلة وعدم ادخال الفرضيات التي تتكون عند الانسان عند فهم الوحي. كما ان هناك من يعرف المدرسة التفكيكية بانها تحدف الى فصل الدين عن الفلسفة.

٢. مكتب تفكيك، حكيمى، ص ٢٠.

٣. انظر: مجلة سفينة، العدد ١، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ملف مختص بآية الله الشيخ محمدباقر الملكي الميانجي (١٤١٩-١٣٢٤هـ).

تُعَدُّ من أهمِّ البراهين لاثبات وجود الله. و كالوين هو أحد الذين تخصَّصوا في معرفة الله. فهو يرى أنَّه في باطن ذهن الانسان، وبسبب الجذب الطبيعي، هناك نوع من معرفة الله، و بالطبع فان هذه المعرفة عامَّة وعرضة للخطر.

إنَّ ما يناقشه هذا المقال هو دراسة مقارنة للمعرفة الباطنية و الفطرية من وجهة نظر «جان كالوين» و المعرفة الفطرية من وجهة نظر مدرسة خراسان (التفكيكية) بالاعتماد على آراء آية الله «ملكي ميانجي».

السؤال الرئيسي في هذه الدراسة: ماهي وجوه الاشتراك و الافتراق في رأى «آية الله ملكي ميانجي» و «جان كالوين» بشأن المعرفة الباطنية و معرفة الله الفطرية؟ انَّ منهجنا في هذا البحث المقارن، الوصفي، والتحليلي هو جمع المعلومات بأسلوب المكتبات.

أ) المعرفة الفطرية من وجهة نظر ملكي ميانجي

الانسان يصدق وجود خالق العالم بمقتضى عقله:

«بالقول يُعتقد التصديقُ بالله»

ولا سبيل غير ذلك، بسبب وجود المخلوقات والمصنوعات:

«فَلَمْ يَكُنْ بَدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ لَوْجُودِ الْمَصْنُوعِينَ»

١. Calvin.

٢. جان كالوين (بالفرنسية: Jean Calvin) (١٥٠٩ - ١٥٦٤ م) مصلح و متكلم فرنسي، شهير، كان من أكبر علماء فرقة البروتستانت، عرف بأنه من مؤسسي «الكالونية». كان لكتابه تأثيراً حيوياً على نخبة الإصلاح الديني. نشر كتاب «مبادئ الدين المسيحي» لأول مرة في سنة ١٥٣٦ م وكان شرحاً منظماً للأركان الرئيسية للإيمان المسيحي. جعل هذا الكتاب «كالوين» موضع اهتمام الآخرين بحيث أجرى تعديلات كثيرة في كتابه فيما تبقى من عمره، و أوصل النص الأول و هو ستة فصول الى ثمانين فصلاً طُبعت في أربعة مجلدات. أصبح هذا الكتاب فيما بعد أول كتاب كلاسيكي في عصر الإصلاحات الدينية التي فُتِرت فيها المبادئ و معتقدات البروتستانت بصراحة و وضوح تام.

٣ Calvin, Institutes of the Christian Religion , book I,chapter3,p43.

٤. ولد المرحوم آية الله حاج شيخ محمد باقر ملكي ميانجي سنة ١٣٢٤ و توفي سنة ١٤١٩ هجرية (١٢٨٥-١٣٧٧ شمسية) في مدينة «ميانه»، درس على يد مختلف الاساتذة في مشهد. وكان على اتصال بآية الله الميرزا محمدی الاصفهانی (المتوفى ١٣٦٥ هجرية) علمياً و فكرياً أكثر من الآخرين. ثم أقام في مدينة «قم» بين سنة ١٣٣٧ و ١٣٧٧ و استهلَّ تدريس التفسير و المعارف و العقائد و دامت هذه الدورة حتى وفاته. يمكن ان نقسم مؤلفات «ملكي ميانجي» المكتوبة الى قسمين، التفسيرية و غير التفسيرية حيث طبعت بعضها ونشرت و هي:

أ) المؤلفات غير تفسيرية: توحيد الامامية

ب) المؤلفات التفسيرية: ١. بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام: ٢. تفسير فاتحة الكتاب: ٣. نكاهي به علوم قرآني (نظرة الى العلوم القرآنية) ٤. مناهج البيان في تفسير القرآن

اضافة الى ذلك فله كتب مخطوطة، منها: ١. الرشد في المعاد: ٢. دوره كاملة لتقريرات اصول المرحوم ميرزا محمدی اصفهانی، ٣. رساله في الحبط و التكفير، ٤. رساله في الخمس، ٥. رساله في احكام الميت.

٥. الصدوق / التوحيد / ص ٤٠.

٦. الكليني / الكافي / ج ١، ص ٨٤.

من جانب آخر، فبالتمعق و التدبر في الظواهر و لوجود التباين في الصفات بين الخالق و المخلوق و نفى التشابه بينهما يدعن بهذا:

«فكلُّ ما في الخلق لا يُوجد في خالقه و كل ما يُمكن فيه يمتنع من صانعه»

في هذا التدبر الثنائي الاتجاه، يتحيز الانسان بين اثبات وجود الله و عدم شبهه بالمخلوقات و السبيل الى ازالة هذه الحيرة يكون في باطن الانسان.

فمن حيث المبدأ، فان معرفة ذات الله المقدسة في الاديان التوحيدية، ليست مجهولة أو مشكوك فيها، ولا تحتاج الى اقامة البرهان اللّمِّي والآيّي. فالآيات الكريمة و روايات اهل البيت دعت و بصوت عالٍ، أنّ معرفة الله مودّعة في قلب الانسان و نفسه، و هذا النوع من المعرفة أولاً من صنع الله و ثانياً خارج عن حد التعطيل و التشبيه:

«والآيات الكريمة والروايات المباركة تنادي باعلى صوتها على خلاف ذلك و استحالتها، وإنّ معرفته تعالى امر فطريّ بسيط خارج عن الحدين؛ حد التعطيل والتشبيه»

من جانب آخر؛ فان المصادر الدينية و المنهج العملي لانباء الله تؤيد هذا بأنّ هذه المعرفة ليست مستغنية عن تذكير و تنبيه اهل المعرفة، أي الانبياء و الائمة. بل إنّ الازدهار و فعلية هذه المعرفة، تحتاج إلى التذكير و تنبيه النفس الانسانية في مرحلة الحياة الدنيوية.

و الانبياء و الرسل و الائمة الصديقون صلوات الله عليهم يذكرون الناس في مقام التعليم و البلاغ و في مقام المجادلة الحسنة [بمذه المعرفة البسيطة]

عندما يرى الانسان المعرفة والموهبة التي منحها الله له في نور الفطرة أثر تذكير اهل المعرفة، ووجد حقيقة نفسه، فانه يجد نفسه أمام طريقتين، إمّا الإستسلام أو الإنكار، و في هذه المرحلة ينال الهداية و الايمان الديني بالإستسلام أمام الله.

إنّ الايمان عبارة عن التسليم و القبول في مقابل ما عرف من الحق المبين و التعهد بالوفاء و به و بلوازمه... فعليه يكون الإيمان الذي هو فعل الإنسان بقلبه و عمله و مرتبة متأخرة عن معرفته الفطرية له تعالى.

٤

١. الصدوق / التوحيد / ص ٤٠.

٢. ملكي ميانجي، توحيد الامامية، ص ٧٧.

٣. ملكي ميانجي، توحيد الامامية، ص ٧٨.

٤. نفس المرجع، ص ٩٠.

وعلى هذا نستطيع ان نقول: بان معرفة الله الدينية لها ثلاث مراحل، «التعريف»، «التذكر»، «التسليم»، و يصل الانسان إلى الهداية الالهية و الايمان الديني بعد اجتياز هذه المراحل الثلاث.

١. مرحلة التعريف

طبقاً لوجهة نظر آية الله ملكي ميانجي، ليست المعرفة الالهية كمعرفة الأمور الأخرى، بل إنّ معرفة الله، أولاً فطرية، يعنى مودّعة في قلب الانسان و نفسه و يتجلّى الله في قلب الانسان و يرويه بالمعرفة الحليّة. ثانياً بسيطة يعنى لا يعتنى بها الانسان مزاوله الحياة الدنيويّة و يغفل عنها. تدلّ الآيات و الروايات الكثيرة على هذا النمط من المعرفة.

في تصنيف عام، نقدر ان نعرف سبع مجموعات من الآيات، دلالة على ان المعرفة الالهية معرفة فطرية و نحن نشير الى بعضها:

١-٢. الآيات الدالة على المعرفة البسيطة

١-٢-١. آيتان ٩ و ١٠ من سورة ابراهيم

«أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنِّي إِلَهُ شَكٍّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ»

تشير بداية الآية الى الكفر و ارتياب الكفار مما جاء به الرسل: «إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ» اشارة الى أنّ ظاهر هذه الآيات يدور حول جميع اصناف الكفر و ليس فريق خاص كالوثنيين. تدلّ هذه الآيات على نفى الشك بوجود الله، و هذا يعنى جميع الناس من المؤمنين و الكافرين يعرفون الله، و معرفتهم معرفة بسيطة طبعاً.

هذا النمط من المعرفة يحتاج الى التكامل، و لهذا السبب أرسل الله الأنبياء و الرسل. غليان هذه المعرفة من باطن الناس متوقّف على تنبّه العارفين على الحق، أي المبشرين و المنذرين الالهيّين.

١. التوحيد الإمامية / ٩٤ و ١٠٢ و برنجان، معرف فطري خدا، ص ٥٤ - ٥٥.

٢. سورة ابراهيم / ٩ و ١٠.

١-٢-٢. آية الفطرة

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»
هذه الآية الكريمة نخبرنا عن سنة الهية ثابتة. وهذه السنة تشير إلى أَنَّ الله تعالى خلق الخلق عارفاً بالتوحيد، و هذا الشعور والمعرفة هو البسيط و المغفول عنه طبعاً.^٢

١-٢-٣. الآيات الدالة على أَنَّ السكينة هي المعرفة الالهية

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.^٣

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا.^٤

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.

السكينة حقيقة نورية تنشرح بها الصدور و تطمئن بها القلوب و توجب تحقق الايمان و ازدياده.
سأل ابو حمزة الامام الصادق^٥، عن قول الله عزوجل «أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ» قال:
«هو الايمان»^٦

الموقف الذي ترد فيه السكينة على القلب في الحقيقة، مقام تعريف الله نفسه للمؤمنين. من جانب آخر، الايمان الذي هو فعل الانسان، في مرتبة متأخرة عن معرفته تعالى، فلا محالة تكون المعرفة في مرتبة العلة لتحقيق الايمان.^٩

على هذا، التحقق و ازدياد الايمان متوقف على شيئين، موقف التعريف الالهى و الآخر، انزال

١. روم / ٣٠ و ٣١.

٢. الملكى المياخى / توحيد امامية / ٩٨.

٣. فتح / ٤.

٤. فتح / ١٨.

٥. فتح / ٢٦.

٦. الملكى المياخى / توحيد امامية / ١٠٤.

٧. الكافى / الكليني / ١٥ / ٢.

٨. الملكى المياخى / توحيد امامية / ١٠٤.

٩. الملكى المياخى / توحيد امامية / ١٠٦.

السكينة. و هذان كلاهما في موقف القلب و التجلّي من جانب الله.

تدل بعض الروايات الواردة، على أنّ السكينة هي موقف تعريف الله و لهما الاتحاد في المصداق، إضافة الى الاتحاد في الموقف يعني انزال السكينة تساوى تعريفه تعالى نفسه الى عباده. يعتقد آية الله ملكي ميانجي، بأنّ السكينة في هذه الروايات بمعنى إفاضة العلم و المعرفة الالهية و نتيجتها السكون و الوقار:

«أقول: السكينة في هذه الآيات و الروايات عبارة عن تعريفه تعالى نفسه الى عباده»
 إنّ الله تعالى خلق الخلق عارفاً بالتوحيد، و هذا الشعور و المعرفة هو البسيط و المغفول عنه طبعاً.
 «فإن الله سبحانه خلق الخلق عارفاً بالتوحيد عرفاناً مرموزاً بسيطاً و شاعراً به شعوراً بسيطاً يتمايل الى التوحيد و يرغب عمّا يضارّه و يخالفه، و يجري في ذلك طبق الشعور الفطري الذي أعطاهم الله هذا النور عند ما فطرهم و خلقهم»
 «على هذه المعرفة، حقيقة الفطرة هي المعرفة التي صنع الله اولاً، و لذلك من دون اختيار الانسان و ليست متصورة بالعناوين و المفاهيم الكلّية، اذ ليست حاصلة بالمقدمات البرهانية»
 والفطرة صنع يعرف الله نفسه بما على الانسان من دون اختيار الانسان و لا ارادة الانسان من نفسه في النبل الى هذه المعرفة.

من الممكن أن يستنتج من دراسة جميع الروايات الواردة في تفسير الآيات المذكورة و الروايات الاخرى بأنّه أولاً؛ المعرفة الالهية هي من صنع الله و من الكرامات التي بذلها الى عباده و ثانياً؛ هي تفضّل ابتدائي و لا خيرة للانسان فيها.

٢. مرحلة التذكّر

اذا دخل الانسان الى العالم المادّي، يغفل عن المعرفة الفطرية و ينساها. و جعل الله تعالى طرقاً متعددة و متنوعة للناس في سبيل معرفته إذ أرسل الانبياء للتذكّر الى المعرفة المكنونة في الانسان و يوفرّ لهم موجبات إضاءة طريق الكمال و الهداية.

١. المفوذج: العياشي / تفسير العياشي ج ٢ / ٢٠١ و الكافي / الكليني ج ١ / ٢٧١.

٢. الملكى الميانجى / توحيدلامامية / ١٠٧.

٣. الملكى الميانجى / توحيدلامامية / ٩٨ و ٩٩.

٤. الملكى الميانجى / توحيدلامامية / ١٠٢.

٥. هذا التعريف في مرحلة بساطة التعريف، و آلم تتدخل ارادة الانسان في تحويل هذه المعرفة البسيطة الى المعرفة المركبة و الكمال النهائي للمعرفة.

٦. الكليني / الكافي ج ١ / ١٥٧.

قال امير المؤمنين على ٧ فى الخطبة الاولى من نهج البلاغة:

«فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبَاءَهُ؛ لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَ يُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَ يَحْتَجُّوا عَلَيْهِم بِالتَّبْلِيغِ، وَ يُثِيرُوا هُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»

إحدى طرق التذكّر، انقطاع الانسان من التعلّقات المادّية و احدى الحالات التى يتحقّق فيها انقطاع غير مقصود للانسان، حالة الاضطرار و اليأس و تدل عليها آيات كثيرة من القرآن:

«وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ.»^١

والعبادة إحدى الطرق للتذكّر الى المعرفة الفطرية الالهية و جميع ما سواه تعالى ملك مطلق له تعالى، فهم مركزون فى حاقّ العبودية و المملوكية، و الأمر و النهى و التشريع من وظائف المولوية الحقيقية و شؤونها، و الانسان يخطو خطوته الاولى فى التوحيد فى العبودية و النيل الى المعرفة الالهية التامة.^٢

٣. مرحلة الاستسلام

بعد ما يقع الانسان فى مسير الهداية الالهية بواسطة فطرته، تتجلى فيه روح التسليم و الايمان بالله.

لمرحلة التسليم صلة وثيقة بحيلة العمل و السلوك و فى الحقيقة، يعيّن التسليم اتّجاه عمل الانسان. لأنّه بعد أن يسلم الانسان لله تعالى و يصدقه تصديقاً قلبياً، يفيض اليه نورانية صالحة لهذا الايمان، الذى من لوازمه العمل الديني، يعنى عمل له اتّجاه الهى و مقتضيه قصد القرية الى الله تعالى. على هذا، فان الايمان الديني هو من جنس المعرفة الالهية، يعنى أولاً هو صنع الله و ثانياً غير إكتسابي بل يوضع نور الايمان فى الانسان بعد التنبيه الى مقام التعريف و التسليم تجاه أوامر الحق المتعال و نواهيه.

ب) معرفة الله الباطنية من وجهة نظر «جان كالوين»

يعتقد «جان كالوين» فى كتابه «مبادئ الدين المسيحي»:

«إنّ هناك نوع من الوعي فى باطن قلب الانسان، و فى الحقيقة نوع من الوعي الى الله بسبب

١. لقمان / ٣٢.

٢. الكليني / الكافي ج ١ / ١٩٦ و ١٥٧ - ١٩٢.

نزعة طبيعية الى الله، و نجد هذا الوعي امراً مسلماً لا شك فيه. أودع الله نفسه وعياً خاصاً من المرتبة الالهية في جميع الناس، ليكون الحجة على الجميع و لأن لا يتذرع احد بالجهل على هذا. بما أنّ الانسان يدرك ان الله موجود و هو الذي يخلق الناس و يسأل الناس بمقتضى شهادتهم و تصديقهم اياه و بمقتضى خضوعهم أمام الله و بمقتضى قصورهم وايداع امور حياتهم الى الله و وقفها له. إذن إذا اردنا أن نبحت عن الجهل الى الله في شيء، لنجد نموذجاً منه في الانسان غير الحضاري و المتخلف. رغم ذلك كما يقول ذلك الكافر الشهير: لا توجد امة غير مثقفة و بعيدة عن الحضارة الى حد لا يبرز ايماناً راسخاً و عميقاً الى الله. ولهذا فان هذا المفهوم العام يشغل الازهان و استوطن في القلوب، استيطاناً قوياً و صار جزءاً غير قابل للانفصال منها. و على ذلك ونظراً الى انه منذ بداية العالم، لم تكن هناك نخلة ولا مدينة و لا اسرة حتى يقدر من التقدم بدون دين، و هذا اذعان تلميحى بأن معرفة الله محفورة في قلوب الناس جميعاً»^١.

يعتقد «كالوين» بأن كثيراً من الجهود بذلت لإنكار وجود الله و العيش دون الله، وهذا شاهد بوجود ميل و نزعة فطرية الى الله. و في الحقيقة، فان الازعان بوجود بالله متجذر في اعماق ذهن كل انسان و ليس اكتسابياً، أي لا يحتاج الى مدرس و لا يحتاج الى استاذ، بل، اننا نعرفه منذ وجودنا في رحم امهاتنا، و الطبيعة لا تسمح لاحد ان ينساه.

ان الفكرة الرئيسية لـ «كالوين» تتضمن ما يلي:

«لكلّ انسان قوّة او آليّة خاصّة تنتج عنده أفكار ومعتقدات مرتبطة بالله (المعتقدات الدينية) ويصف «كالوين» هذه القوّة بالحسّ الالهي».

وطبقاً لرأي «كالوين» العرفاني، فإنّ الانسان عنده مصدر عرفاني جديد، يسمّى بالحاسة الالهية. و هذه الحاسة تنشّط في مواقف خاصّة كمواجهة عظمة خلق الانسان أو الجبال أو البحار حتى جمال الورد في الطبيعة و ينتج الاعتقاد بالله.

وطبقاً لرأي «كالوين» فإنّ الحسّ الالهي، يعتبر احدى القوى العرفانية التي استودعها الله في الانسان، حتى لا يضلّ عن الطريق، و في الظروف الخاصة يعنى ظروف مواجهة القدرة الالهية

^١ Calvin , Institutes of the Christian Religion , I, pp,43-44.

^٢. Plantinga , Warranted Christian Belief, P.172.

^٣. Ibid.

كالعظمة، والجمال، والقوة و...، ينتعش هذا الحسّ و القوة و يولد هذه العبارة: «إنّ الله موجود». إنّ هذه القوة متّسقة مع القوى العرفانيّة الأخرى كالإدراك الحسّي و قوّة الذاكرة و القوى العقلية و تولّد اعتقادات لها مستوى عالٍ من الصدق.

يرى «كالوين» أنّ هذه المعرفة موجودة في الانسان منذ الولادة و حتى منذ قراره (في رحم امه). لا يقصد «كالوين» من هذا، أنّ الانسان عارف بالله من البداية، بل قصده من القول بالمعرفة الفطرية، أنّ الاستعداد لهذه المعرفة، موجودة منذ الولادة كما أنّ الانسان في طفوليّته له ميول نحو الرياضيات البسيطة.

(ج) الدّراسة المقارنة

١. وجوه الاشتراك

بناءً على آراء «آية الله ملكي ميانجي» و «جان كالوين» حول المعرفة الفطرية لله، يمكن القول بأنّ القاسم المشترك بين هذين الرّأيين في تبين المعرفة الفطرية الى الله، على الوجه التالي:

١-١. مصدر المعرفة

طبقاً للرّأيين الالهيين فإنّ المعرفة هي معرفة فطرية داخلية وقلبية، بناءً على رأي «ملكلي ميانجي» فإنّ المعرفة الفطريّة من صنع الله و لا دور للذهن و تصوراته في هذه المعرفة. فالله سبحانه وتعالى عرّف نفسه الى روح الانسان و قلبه بدون أيّ واسطة، و ورد هذا في روايات اهل البيت تحت عنوان: «المعرفة و الرؤية القلبية». فالخطبة ١٧٩ من نهج البلاغة بيّن هذا الموضوع فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ... وَ كَيْفَ رَأَيْتُهُ؟ قَالَ: «وَيْلَكَ لَا تُذَرِّكُهُ الْعُيُونُ فِي مُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ، وَ لَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ».

و أيضاً جاء في رواية الامام الباقر^٧:

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَضَرْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَيِّ شَيْءٍ تَعْبُدُ؟ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: رَأَيْتُهُ؟ قَالَ: بَلَى، لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ وَ لَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ»

و نفراً في كلام الامام الصادق^٨ عن كيفية مشاهدة الانسان ربّه يوم القيامة:

١. انظر أيضاً: الكليني، الكافي، ١/ ٩٨.

٢. الكليني، الكافي، ١/ ٩٨.

(عن أبي بصير) عن أبي عبد الله^١، قال: قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَ قَدْ رَأَوْهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ! فَقُلْتُ: مَتَى؟ قَالَ: حِينَ قَالَ هُمْ: «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَيَرَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَ لَسْتُ تَرَاهُ فِي وَقْتِكَ هَذَا؟... وَ لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ كَالرُّؤْيَةِ بِالْعَيْنِ^٢

من جانب آخر ففى شريعة «كالوين» فان موقف المعرفة الفطرية، فى باطن الانسان وقلبه. يقول «كالوين» فى هذا المجال:

«فمنذ بداية العالم وحتى الان، لم تكن هناك اى سَنَة و لا مدينة ولا اسرة، ترقى و تكامل حتى يؤمن بوجود الله، وهذا اذعان تلميحى بأن معرفة الله نقشت فى قلوب الناس جميعاً» و يقول ايضا:

«ان تعنت الملاحدين.... هو خير شاهد على هذا الاعتقاد الراسخ بأن الله موجود، هذه فطرة ذاتية موجودة عند الجميع، وقد نقش فى عمق روح الانسان وقلبه.»^٣

١-٢. لزوم التركيب و الفعلية فى الفطرة

من وجهة نظر «ملكي ميانجي» فإن معرفة الله فطرية بسيطة و البسيطة تعنى أنَّ الانسان لا يتوجه لمعرفة الله، بل يغفل عنها فى الحقيقة. تعمل الدنيا كالحجاب و تجعل فطرة الانسان مغفولاً عنها. و هنا يتوجب على الانسان أن يوصل هذه المعرفة إلى مرحلة النضوج، و إنّ تركيب المعرفة الفطرية يعنى توجه الانسان إلى معرفة نفسه.^٤

و هذه إحدى الحِكَمِ الالهية التى يغفل الانسان عن الله بسبب انشغاله بالحياة الدنيوية و لا يتوجه الى الله. فشأن الدنيا، شأن الامتحان و الابتلاء، و الانسان ينساق الى مقام التقرب الى الله و أن يكون خليفة الله فى الدنيا بسبب عبادة الله. فالانسان يتوجه الى المعرفة الالهية بعد تذكّر الأنبياء و الدعاة الالهيين، و يستطيع ان ينتخب مسار العبودية اختياراً و ينال مقام التسليم و المعرفة الفطرية المركبة المتكاملة. فى هذه الحالة، يصبح شأنه شأنًا من الله، و التوحيد يدخل جميع شؤون حياته الدنيوية.

١. صدوق، التوحيد / ١١٧.

٢. Calvin, Institutes of the Christian Religion , I,iii,p.43.

٣. Ibid, p.173.

٤. ملكي ميانجي، توحيد الامامية، ص ٨٦.

بناءً على نظرية كالوين، وكما قيل من قبل، فإن معرفة الله، هي معرفة تتكوّن عند الجميع في رحم الأمّ منذ المرحلة الجنينية، و لا يحتاجون الى تعلّمها عن الطرق المتعارفة مثل التعليم و الاستاذ و المدرّسة.

يعتقد «بلانتينغا»، بأن «كالوين» ليس بصدّد اثبات علم فطريّ، بل أنه يريد ان يقول: «انّ ما لدى الانسان في رحم امّه، ليس العلم بالله، بل الاستطاعة بالقوة لنيل هذا العلم، كالعلم بالرياضيّات البدائية التي تحتاج الى البلوغ الكفّي»^١ وعلى هذا، يمكن القول بأنّ التوجّه الى الله هو استطاعة بالقوة تنشيط الاجواء و الظروف الخاصّة في حياة الانسان. هذا الحسن الإلهي يُنشّط الاستطاعة الفطرية و يشكل الاعتقاد من جنس معرفي. القدرة -----< العلم

يعتقد «بلانتينغا» بصفة أحد المعتقدين بأفكار «كالوين» أنّ الظهور و نشاط الميل الفطريّ (الحسن الإلهي) يحتاج الى النضوج الخاصّ في الانسان. وبرأيه فان مرحلة الشباب هو مرحلة البلوغ والنضج، لظهور الاعتقاد بالله.

من جانب آخر، فإنّ وضع الانسان في أجواء بيئة مختلفة و مناسبة، يوجب النموّ و كمال الحسن الإلهي. في الحقيقة، كلّما نشطت هذه القوّة العرفانيّة وانتجّت من جديد، ينال الإنسان النضج و الكمال و النموّ. و من هنا، فإنّ الارادة و اختيار الانسان له اثره. فالإنسان يستطيع أن يضع نفسه في ظروف مناسبة، فإنه يُهيّء المجال لنموّ هذه القوة العرفانية وازدهارها.

١-٣. دور الذنب في المعرفة

مع إنّ «كالوين» يرى الميل الى الاعتقاد بالله ميلاً ذاتياً و فطرياً، فإنه يعتقد ربّما يتأثر هذا الميل بالذنوب. وفي الحقيقة، فإذا لم يكن ذنب في العالم، فإن جميع الناس كانوا يؤمنون بالله، كما أنّهم يعتقدون بوجود اشخاص آخرين ووجود العالم الخارجي. إنّ السبب الرئيسي الذي يجعلنا نرى الاعتقاد بالله يبدو صعباً أو غير معقولاً، هو الحالة المشبعة بالذنوب و الغير طبيعية. يقول «كالوين» بأنّ عدم إطاعة الأوامر الإلهيّة، يُعدّ أوّل ذنبٍ يجعلُ القوّة العرفانية (الحسن

^١ plantinga, Warranted Christian Belief, P.173.

^٢ Ibid.

^٣. بلانتينغا، عقل و إيمان / ١٥٧.

الالهية) تواجه الاعوجاج والانحراف. إنّ الحسّ الالهية للإنسان في هذا العالم، لا يُحظي بوضع جيد اثر العيش في بيئة مشحونة بالذنب. و هو يعتقد أنّه اذا انحدرت هذه القوة العرفانية نحو الزوال ولم يكن بإمكانها إنتاج الاعتقاد بالله، فإنّ الانسان يُصابُ بمرضٍ عرفانيّ، يُسمّيه «كالوين»^٢ وضعاً غير مألوف. يرفض «كالوين» اليأس في هذا الجوّ المشحون بالذنب وعدم توقّر الأمل، و يعتقد بأنّ على الأفراد أن يبحثوا عن كسب السعادة.

يستطيع الناس بإدراكهم الصحيح القبول بمخالفة الله والاعتراف بالتوبة أن يجعلوا أنفسهم في حمى الله مقابل هذا الخطر العظيم (أى المرض العرفاني). ويمكن لهذا الحسّ، حتّى في مواقع ضعف الايمان، أن ينشط في ظروف متعدّدة وخاصّة عندما يُشاهد جمال الطبيعة، كالسماء الزاخرة بالنجوم في الليل أو الشلالات، لعلّه يسبّب إعتمال هذا الحسّ الباطنيّ. يعتقد «كالوين»: أنّه مع وجودّ حائل مثل الذنب، فإنّ الانسان لا مفرّ له إلّا اللجوء إلى دين الله.

يرى آية الله «ملكي ميانجي»، بأنّ إقبال الإنسان على المعرفة الالهية التي تشاهد في العوالم الأخرى بالمعانية يعتمد على ظروف مختلفة كتذكير و تنبيه انبياء الله. في هذه المرحلة، إن كان الناس مذنبين و بتعبير القرآن، «ختم الله على قلوبهم»، فلا يسفر تذكير الانبياء و تنبيههم إياهم عن نتيجة، بل يسفر عن نتيجة مخالفة لها.

الشّروط الثّاني لكمال المعرفة الفطرية الالهية و التسليم للاوامر الإلهية و الايمان بها. في هذه الحالة، إن حصل شرح بين عقيدة الانسان و سلوكه عنده يسقط في غمرة الذنب، فإنّ قلبه سوف لن يفيض بنور الايمان لا يتأهل لإفاضة نورالإيمان ولا ينال المعرفة الحقيقية و الخطوة الالهية.

١. Calvin, Institutes of the Christian Religion , I,ii,p.245.

٢. Cognitive disease.

٣. Substandard Position.

٤. plantinga, Warranted Christian Belief, P.174.

٥. Calvin, Institutes of the Christian Religion , p.52.

٦. ملكي ميانجي / توحيدالإمامية، ص ٩١.

١-٤. المعرفة الفطرية اساس سعادة الإنسان

يخطى الانسان بواسطة معرفة الله الفطرية في مسيرة الهداية و الايمان الديني. فهو ينال الايمان الديني بهذه المعرفة في ذاته وبعد طي مراحل التذكير و السلوك المعنوي. ^١ فإرادة الانسان واختياره في هذه المرحلة مشهود و مؤثر. لأنّ الإنسان يستطيع أن ينتخب مساراً آخر و يصل إلى الفسق بدلاً من الإيمان في المعرفة الفطرية عند كالوين، فإنّ وجود هذا الوعي الباطني، هو مصدر لمسؤولية الناس مقابل أعمالهم السيئة. الحسنّ الالهيّ في ذات الانسان حائل للإعتذار و طرح للأعذار. من وجهة نظر «كالوين» فان الله قد وضع الحسنّ الالهيّ في باطن كلّ إنسان حتّى يدرك هذا الانسان عظمة وجلال الله، وبذلك يتمكّن الانسان من إدراك هذا الحسنّ الالهيّ وتكريس حياته لله لكي يدرك بذلك طريق السعادة ولا يبقى أمامه طريق يوصله إلى الغفلة الجهل أمام الله تعالى. يعبر «كالوين» عن اعتقاده بأنّ الناس يُدينون أنفسهم بهذا الدرك و الشهادة الباطنية. لأنّهم قصروا في سبيل تكريم الله والتضحية بحياتهم من أجل كسب مرضاته. ^٢

٢. وجوه الافتراق

إذا ناقشنا آراء هذين المختصين في الشريعة حول معرفة الله الفطرية، عندها نستطيع أن نعدّ بعض نقاط الخلاف بينهما:

٢-١. استيعاب المعرفة الفطرية

من وجهة نظر «ملكي ميانجي» فإن معرفة الله الفطرية تشتمل على مرحلة إثبات وجود الحقّ تعالى وربوبيته و وحدانيته. فهو يعتقد بأنّ الاسماء الالهية مشتركة من حيث اللفظ وليس من حيث المعنى. فالأسماء المذكورة التي اختارها الله لنفسه لا ارتباط لها مع ممكناته قطّ. فعلى سبيل المثال، فوصف العالمية، يعنى بأنّ الذات لها العلم، و القادرية يعنى أنّ الذات لها القدرة، إذ أنّ العلم و القدرة و الحياة الالهية لا ارتباط لها مع علمنا وقدرتنا وحياتنا. يعنى لا نستطيع القول أنّنا قد صنعنا العلم و القدرة و الحياة، و الله جلّ جلاله كذلك و لكن الله هو في منتهى العلم والقدرة والحياة، بل يجب القول انه لا يمكن مقارنة علمنا و العلم الالهيّ؛ و هذا الاشتراك، هو اشتراك في اللفظ

١. المصدر السابق، ص ٩٠.

٢. Calvin, Institutes of the Christian Religion, p.4.

إن تكن الاسماء و الصفات الالهية وفقاً للوضع الإلهي؛ و الاشتراك اللفظي، فهل يمكننا أن ندعوه؟ و في الحقيقة كيف نقدر أن ندعوه؟ في الاجابة عن هذا السؤال، يقول مفسرنا بأن جميع هذه الاسماء و السمات، علامات لله حتى ندعوه بها و نناجيه. لأن التسمية إن كانت طبيعية او لفظية او غير لفظية، كلّها تشير إلى أنّ أصحاب اللغة الواحدة قد تفاهموا عليها وإذا ما انتهى هذا الإتفاق فسوف تزول كلّ هذه المفاهيم. وعلى هذا، فإنّ علينا أن نتقبل أنّ هذه المفاهيم وجدت بالاتفاق بين أصحاب اللغة ويمكن تغييرها، وإذا كنّا نؤمن بالإشتراك المعنوي و نعتبر علماً و علمه من نسق واحد. لذلك نتصوّر أنّ علمه يتلائم مع المفاهيم الكلّية التي تأتي من دائرة الامكان و هو من صنع الله، و هذا باطل بضرورة الوجدان. لأنّا أحطنا علماً بالله و إن كان على وجه من الصور وشكل من الاشكال، و هذا لا يتفق مع قدسية الله سبحانه. لذلك لا يمكن تصوّر البارى عز وجل بالعقل و الفكر البشري و الإحاطة به، بل تصديقه يأتي بتعريف نفسه. و هذا التعريف من صنعه أيضاً و ليس له كيف و لا طور. و جميع معرفته بهذه الآيات و العلامات التي جعلها لنفسه. جعلت معرفته في ذاتنا و فطرتنا و هي خروج عن الحدّين، التعطيل و التشبيه. لذلك وضع الله سبحانه هذه الاسماء و الاوصاف علامات لذاته حتى ندعوه بها و نطرح حاجتنا إليه لكي يستجيب لنا حتى بلفظ الجلالة، ليس علماً و لا مستجماً لصفاته الكمالية، بل هي علامة ودلالة على كيفية دعائه.

وفى ختام هذا البحث نذكر جملةً من آية الله ملكي ميانجي التي هي في كمال الوضوح، و تبين البحوث السابقة:

«فتحصل إنّ المراد من الفطرة هي معرفة الانسان ربّه تعالى و توحيده سبحانه، معرفةً خارجةً عن الحدّين و بسيطة لا يعرف أنّه يعرف، فيحتاج إشتدادها و زيادتها إلى تذكير المذكّرين و تنبيه العارفين. فلا يزال حتّى يبلغ المؤمن إلى درجات ساقية و مقامات عالية من الايمان و العرفان به تعالى و نعوته و معاني أسمائه سبحانه»

١. ملكي ميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن. الملكي الميانجي، ج ١، ص ٨٥.

٢. ملكي ميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن. الملكي الميانجي، ج ١، ص ٩٣-٩٧.

٣. ملكي ميانجي، توحيد الامامية، ص ١١٧.

لذلك فإن ما يتعلق بالمعرفة الفطرية هو الله و أسمائه و صفاته، لكن التتالي فيها مستحيل ودون اى معنى. بل أنّ جميع هذه الالفاظ والعلامات دلائل ندعوه بها و نناجيه. وعلى هذا، فليس لتعريف الله صورة معقولة لنا، ولا شبه بيننا و بين الله فى جميع الجهات و الأشكال. ولكن ما يتعلّق بالمعرفة الفطرية التى ينبعث من الحسّ الالهىّ لكالوين، معرفة ربّ متعال بالنسبة للإنسان. يعتقد «كالوين» بأنّ الحسّ الإلهيّ يُعطينا بعض المعرفة حول قدرة الله، وعظمته و وحدانيّته.

لهذا الوعي الانسانيّ خصوصيّتان رئيسيّتان، أوّلاً هو مبهم و مجهول. «كالوين» خلافاً لميانجي لا يتحدّث عن ضرورة كشف هذا الغموض، لأنّ هذا الغموض مرافق للإنسان وهو معه مشفوعاً بالخوف. الخوف من الله، موجود مع الإنسان و إن زال بصورة مؤقتة فى ظرف خاصّ، رجع فى لحظةٍ ما و يهاجم الانسان بقوة جديدة. يستخدم «كالوين» كلمة «fear» بمعنى الخوف، فى وصف الحسّ الالهىّ، مراراً و يصوّر كميّة تشويش ذهن الانسان بهذا الخوف. يقول «كالوين» بأنّ جمال الطبيعة يمكن أن يكون تمهيداً ليولّد الحسّ الالهىّ هذا الاعتقاد بأنّ الله مصدر الخير.

يرى «كالوين»، بأن المعرفة الحقيقية لله هى أنّ الله هو مصدر كلّ خير و شعور و صدق فى العالم. إضافة الى أنّ الله يريد الخير لعباده. وهو يسمّى هذه المعرفة، بالعرفان تطمئنّ روح العارف إطمئناناً قلبياً بأنّ الله خالق كلّ خير، و لا يزال يُعرب عن حبّه الى الله و يُطيعه و يشكره. وعلى هذا، نظراً لتوجّه «كالوين» العرفانيّ، فإن المعرفة الفطرية الناتجة عن الحسّ الالهىّ، هى روح المعرفة. يعنى إنّ الله هو مصدر كلّ خير وشعور و صدق فى العالم، أمّا ما يخص المعارف

١. Calvin, Institutes of the Christian Religion , I ,iii, pp.2-3.

٢. Dread.

٣. Jeffreys ,How Reformed is Reformed Epistemology?,p. ٤٢٣.

٤. Natrul Beauty.

٥. Jeffreys ,How Reformed is Reformed Epistemology?,p. ٤٢٣.

٦. Calvin, Institutes of the Christian Religion , I ,iii,i.

٧. piety.

٨. Ibid..

٩. Jeffreys ,How Reformed is Reformed Epistemology?,p.422..

المستخرجة من الحسّ الالهيّ، فإنّ ما يؤكّده و يناقشه «كالوين» وأتباعه مثل «بلاتينغا» هو صفة الله القائمة على إرادة الخير.

٢-٢. طريقة تلقّي المعرفة

من وجهة نظر «ملكي ميانجي» فإنّ إحدى الميّزات الرئيسيّة للمعرفة الفطرية الالهية، هي أنّ هذه المعرفة من صنع الله و فعله. توجد روايات كثيرة في سنّتنا الدينيّة التي يبيّن فيها أنّ المعرفة من صنع الله و فعله. قيل في هذه الروايات، ما جعل الله للناس وسيلة للوصول الى معرفته، وهم ليسوا مكلفين بمعرفة الله، بل أنّ على الله أن يُعرّف نفسه، و على الناس أن يستسلموا أمام الله. وعلى هذا، فإنّ المعرفة الفطرية، موهبة من الله للناس أفيضت على الأرواح الانسانية:

«إنّ هذه الموهبة الكبيرة الالهية خارجة عن حقيقة الانسان، بل هي من فضل الله تعالى الذي جرت سنّته المقدّسة الفاضلة يفيض هذا النور على الارواح البشرية فيستضيئون به.»

في هذا النظام الالهيّ، أفاض الله الانسان في عالم آخر، معرفته المكونة مباشرة في عالم الأرواح و عالم الطينة و عالم الدّر، و كذلك في الدنيا و عالم النسل ايضاً. و في هذه العوالم و في جوّ مقدّس و نوريّ، تفضّل الله على الانسان و عنى به و أفاض اليه معرفته

إنّ ما يستنبط من ظواهر الآيات و الروايات هو، أنّ أظهر المواقف، معرفة عالم الدّر، نفس الموقف الذي جمع جميع الناس من الأوّل الى الآخر، و خاطبهم هكذا: «السّئ برّيتكم» و أخذ من الناس الجواب بهذه العبارة: «قالوا بلى» و الإقرار و الإيمان إلى ربوبيّة الحقّ المتعال و الشهادة على هذه المعرفة.

في هذه العوالم السابقة و من جملةتها، عالم الدّر، شاهد الناس الدّات الالهية المقدسة بالمعانية. و كانت هذه المعاناة تفضّلاً إبتدائيّاً بشكل لا شكّ فيه ولا ريب. فإذا لم تكن هذه المعرفة الحقّة، لما استطاع الانسان أن يُعرّف ربّه في عالم الدنيا. اصيب هذا الموقف و خصوصيّة في هذه الدنيا بالغفلة (بساطة المعرفة الالهية).

من جانب آخر، فإنّ طرح الحسّ الالهيّ لكالوين، بصفة طرح عرفانيّ و المولّد لليقين العامّ الالهيّ

١. الكليني / الكافي / ١ / ٨٥ و ١٦٢.

٢. ملكي ميانجي / توحيد الامامية / ١٥ و ١٨.

٣. ملكي ميانجي / توحيد الامامية / ١٢٠.

و العقائد الخاصة للالهيات المسيحية، بشكل لا يختاره الانسان علماً للحصول على اليقين الحاصل منه و يوجد هذا الميل و النزعة طبيعيةً في الإنسان. في الحقيقة وبتعبير «كالوين»، فإن الانسان في هذا العالم ناظر يهتدي الى الوعي الالهي في باطنه بمشاهدة الصور الجميلة و المحيرة في العالم. بناء على رأى «كالوين» فإنّ روح القدس يلقي المعرفة اليقينية غير المتزعزعة في قلوبنا بناء على ارادة الله. يهدي روح القدس الانسان الى معرفة الله بالتحديث و تغيير المسار و شغف الانسان. وهو يقول في هذا الصدد:

٢

«يشعل روح القدس قلوبنا بمحبة الله و الاستسلام له»

خلافًا لما يطرحه آية الله «ملكي ميانجي»، في تشريعاته فان «كالوين» يرى بان الله يضع بصورة غير مباشرة معرفته في باطن الناس. فمعرفة الله الفطرية تتولد بواسطة قوّة عرفانيّة اودعت في باطن الناس و في تركيبهم الوجوديّة. وفي هذا المسار العرفاني، للطبيعة دور جادّ. فالقوى الذهنيّة، والقطاعات المختلفة، والعواصف العارمة، و البحار الهائجة و العدالة في النظام البشري هي من الاشياء التي تبين للانسان حضور الله إن ما يؤثر في الظهور و إيجاد هذا الاعتقاد، مواجهة الانسان للطبيعة. فالانسان نفسه يعتبر جزءاً من هذه الطبيعة. يعتقد «كالوين» أنّ الانسان هو عالم صغير في هذا الكون. ينال الانسان في مواجهة نفسه المعرفة الالهية.

٢-٣. ماهية المعرفة الفطرية

الفطرة من وجهة نظر آية الله «ملكي ميانجي»، تعنى معرفة الانسان لربه و معرفة وحدانيّة البارئ تعالى، طبيعي، انّ المعرفة التي تكون أولاً خارج عن الحدين (حد التعطيل و التشبيه) وثانياً انها معرفة بسيطة بهذا المعنى، أنّه «لا يعرف أنه يعرف» و على هذا الاساس، فان التوجّه إليه يحتاج

١. Spectator.

٢. Calvin, Institutes of the Christian Religion, I, III, 3, p. 540.

٣. Ibid, I, v, p. ٨.

٤. Ibid, p. ٣.

إلى من يذكره من الخارج، و ثالثاً هذا الشكل من المعرفة يعتبر من جنس التجليات الالهية. هذه الفطرة ليست من جنس التمايلات الطبيعية للانسان:

«وليس المراد منها الغريزة التي هي التمايلات الطبيعية. لوضوح إنَّ الفطرة بهذا المعنى لا تصلح أن تكون أساساً و بناءً للحقائق و العلوم التي يدعو إليها الأنبياء و المرسلون»

من جانب آخر، ليست هذه المعرفة من نوع البديهيات الأولية للعقل مثل إستحالة إجتماع النقيضين او البديهيات الثانوية (الفطريات المنطقية) مثل معرفة أنَّ الأربعة زوج أو القضايا الاخرى البديهية. لأنَّ هذه القضايا و العلوم، معلوم للانسان بالبداهة، بينما المعرفة الفطرية بسيطة. على هذا ليست الفطرة الدينية من نوع المعلومات البديهية. ليست هذه المعرفة الفطرية من نوع العلم الحضورى. لأنَّ من لوازم العلم الحضورى بالله أنه:

«يستحيل أن يكون تعالى معلوماً و معقولاً بغيره تعالى، سواء كان حصولاً أو حضورياً. فإنه تعالى ظاهر بالظهور الذاتى فى شدة غيرمتناهية.»

على هذا، لا تكون الفطرة عقيدة و يقينا بالله، بل تشكّل نوعاً من التجلّى الذى أفاضه الله على قلوب جميع الناس، و هذا الانسان أثر تذكرة المذكّرين و تبليغ المبلّغين هو من يستطيع أن يصل الى مرحلة اليقين و الايمان الدينيّ بهذه المعرفة و النور و التجلّى البسيط فى نفسه. فى الحقيقة، فإنَّ الفطرة هى المعرفة و الاقرار و الانكار وضع تحت تصرف الانسان. و من ثمَّ إنّ تصف بالحسن و القبح، و يتعلّق الثواب او العقاب به.

ليست الفطرة ميل و رغبة، بل الرغبة إرادة متأخرة عن الفطرة. و حيث يجد الانسان بفطرته الالهية، يجد بكل وجوده الله الرحمن الرحيم العطوف الجميل و المحبوب، و يميل اليه و يكنّ اليه المحبة.

ان الذى يشاهد ربّه فى نور الفطرة بأوصاف الجلال و الجمال، يكون ولهاً به و لا يلهف بغيره.

١. يرى آية الله «ملكي ميانجي» المعرفة الالهية من جنس العلم الحقيقى، و العلم الحقيقى فى نظره هو النور المجرد المفاض على الروح. ملكي ميانجي، توحيد الامامية / ص ٢٠.

٢. ملكي ميانجي / توحيد الامامية / ١١٧.

٣. ملكي ميانجي / توحيد الامامية / ١١٧.

٤. ملكي ميانجي / توحيد الامامية / ١٣١.

٥. برنجكار / معرفت فطرى خدا / ص ٢٧.

ومن نتائج البحث المذكور، هو أنّ الفطرة ليست «إستمداداً لمعرفة الله». لأنّ معرفة الله تمنح للانسان حين لا يعرف ربّه، في الوقت الذي تجلّت المعرفة الالهية في اعلى درجاتها في قلب الانسان و إن كان التحلى بشكل بسيط و مكنون بأعلى درجة، ولم يبق محل للقدرة و الطاقة. جدير بالذكر، أنّ القدرة بمعنى النيل الى المعرفة المركبة الالهية بواسطة المجاهدة و تركية النفس بعد تذكّر المذكّر وإنّ الانسان له هذه القدرة.

في الإتّجاه المقابل، ما يفهم من عبارات «كالوين»، هو أنّ هذا النوع من المعرفة يمكن أن يكون من جنس المعرفة أو الرغبة أو القدرة. و نستطيع أن نجد جميع هذه المصطلحات في عبارات كالوين. هكذا يبدو، أنّ ما كان مهمّاً لكالوين، هو إثبات أنّ معرفة الله امر فطري. فنشأة هذه المعرفة، ناجمة عن الرغبة الموجودة في باطن الناس حيث أنّ وجود الامكانيات عند الناس وإنّ الرغبة و الوعي يمكن أن يفضي الى المعرفة و الادراك الذهني.

«إنّ الميل والرغبة الى الله عميقة و شاملة وراسخة في داخلنا وفي قلوبنا»^١

هذه الجاذبة الطبيعية، تتعدى الزمان و المنطقة، وعلى هذا الاساس فإنّ الشخص الذي لا يؤمن بالله، فانه لا يفتقد الى هذا الحسّ من الناحية المعرفية، بل إنه يعيش في ظرف غيرطبيعي (وغير مناسب) ومثله مثل الانسان المتوحّش البعيد عن التمدن والحضارة. هذه الرغبة، خصلة عامّة للكائنات الانسانية و كما قيل، فإنّ هذا الميل الى الاعتقاد بالله ينشط في ظروف بيئية مختلفة. في الحقيقة، إنّ هذا الميل كامن في كل انسان و يجب ان يُفعل. لذا يجب أن تتوفّر الارضية له ويتحتّم ازالة العقبات و الموانع والنواقص عن الطريق، و عدم السماح بأن يكدرّ وجه الحسّ الالهي في وجود الانسان بسبب الذنوب. وعلى هذا، فإن «كالوين» يوصي الناس بقوله:

«يجب ان لا يحرم أحد عن الوصول الى السعادة. لأن الله تعالى لم يغرس فقط بذرة الدين (الحسّ الالهي) الذي تحدّثنا عنه، في قلوب البشر، بل إنه يكشف الستار عن ذاته و يظهر نفسه لجميع مخلوقات العالم كل يوم.

بيّن بعض اتباع «كالوين» العصريين و فسّروا نظرة «كالوين» العرفانية بوصفها نظرة لاثبات

١. Calvin, Institutes of the Christian Religion, p.174.

٢. بلاتينغا/ العقل و الايمان / ص ١٥٨.

عبارة «الله موجودٌ». يعتقد «بلانتينغا» بانه بناءً على الحسّ الالهيّ «الله موجودٌ»، يمكن الاعتقاد بشكل أساسي و ضمناً فانه لم يخالف الشخص خلافاً عرفانياً في تصديقه لهذه العبارة. في الحقيقة، اولئك يستسلمون أمام الله و يعتقدون عند تحيّرهم من الفنّ الالهيّ و حينئذٍ فقد عملوا في إطار واجبه العرفاني.

نتيجة البحث

بناءً على هذين الرأيين المعتمدين على الشريعة فان:

١. المعرفة الفطرية، معرفة باطنية و قلبية.
٢. وظيفة الانسان أن يوصل هذه المعرفة الفطرية الى مرحلة النضوج و التركيب. والمراد من التركيب في الالهيات تفكيك المعرفة الفطرية، بمعنى إقبال الانسان على معرفة نفسه.
- يرى «كالوين» بأنّ عيش الانسان في الظروف البيئية المختلفة و المناسبة يوجب النموّ و كمال الحسّ الالهي. في الحقيقة، كلما انتجت هذه القوة معرفة و يقيناً أكثر، يقترب من البلوغ و التكامل و النموّ المضطرد.
٣. فالذنب له الأثر الأكبر في إضعاف أو محو المعرفة الفطرية. ولو إنّ «كالوين» يرى بأنّ الارادة و الاعتقاد بالله رغبة ذاتية و فطرية، و يعتقد أنّه ربّما تأثر هذا الميل والرغبة بالذنوب. و باعتقاد آية الله «ملكي ميانجي» فإنّ إقبال الانسان على المعرفة الالهية التي يمكن مشاهدتها في العوالم الأخرى بالعين، سوف يواجه النقص بسبب ارتكاب الذنب و يفقد تأثيره.
٤. فالانسان بسبب معرفة الله الفطرية يقف في طريق الهداية والايمان الديني. يعتقد «ملكي ميانجي» بأنّ الانسان يصل الى مرحلة الايمان الديني و السعادة بواسطة المعرفة التي في باطنه و طيّ سلوك مراحل التذكير و السلوك المعنوي. فالحسّ الالهيّ لكالوين الموجود في باطن الناس قد جعلهم يدركون ويفهمون العظمة والجلال في انفسهم فهماً خاصاً حتى يقطعوا طريق السعادة بالتركيم الالهي و تخصيص شؤون حياتهم لمعبودهم لطّي طريق السعادة و لا يكون لهم طريق الى التوسّل بالجهل و الغفلة أمام الله.

١. Planting, The Reformed Objection to natural Theology, in Rationality in the Calvinian Tradition, p.67 .

وجوه الافتراق

أولاً: طبقاً لرأى آية الله «ملكي ميانجي»، شمولية المعرفة الفطرية للأسماء و الصفات، أمر حقيقي، لكن بهذا البيان؛ فإنَّ أيَّ ترادف فيها امر مستحيل و لا معنى له. بل أنَّ جميع هذه الالفاظ، علامات ودلائل ندعوه بها و نناجيه. وعلى هذا، فان تعريف الله ليس له صورة معقولة لنا، و ليس بيننا و بين الله أيَّ شبه من جميع الوجوه و الأشكال. بينما المعرفة الفطرية المنبعثة من الحسن الالهي لكالوين يعرف ربّاً معيّناً شبيها بالانسان.

ثانياً: الفطرة عند آية الله «ملكي ميانجي» تعنى معرفة الانسان لربه ومعرفة وحدانية البارى تعالى، أولاً خارج عن الحدّين (حدّ التعطيل و التشبيه) و ثانياً، بسيطة يعنى «لا يعرف أنّه يعرف»، و على هذا الاساس فإنَّ إشتدادها و كمالها يحتاج الى مُدكّر خارجى. ثالثاً، هذا الشكل من المعرفة، من نوع التجلّيات الالهية. لكن ما يفهم من الالهيات الفطرية لكالوين، هو أنَّ هذه المعرفة من نوع الرغبات الانسانية. هذه الرغبة خصيصة عامّة لجميع الناس و تنشط فى ظروف بيئية مختلفة.

ثالثاً: يرى آية الله «ملكي ميانجي» أنَّ المعرفة الالهية نور يفيض على الانسان و لا واسطة فى هذه الافاضة. وفى الحقيقة، فإنَّ معرفة الانسان الى الله تُفاض من قِبل الله اليه مباشرة. بينما حسب رأى «كالوين» فإن الله قد وضع قوّة عرفانية فى باطن الناس، و هو فى عرض القوى العرفانية الأخرى حيث أن آليتها تكون بشكل يمكن أن تنتج معرفة الله عندما تكون فى اوضاع مختلفة.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. فتح البلاغة.
٣. برنجكار، رضا، معرفت فطرى خدا، تهران، نباء، ١٣٧٤ ش.
٤. بلاتينغا، ألوين، عقل و ايمان، ترجمة بهنام صفرى، تحقيق و تنقيح حميد بخشنده، قم، جامعة قم، نشر اشراق، ١٣٨٠ ش.
٥. حكيمى، محمد رضا، مكتب تفكيك، قم، مركز الدراسات الاسلامية، ١٣٧٣.
٦. الشيخ الصدوق، التوحيد، قم، مجمع مدرسين، ١٣٩٨ هجرية.
٧. عظيمى دخت، سيد حسين، «الوين بلاتينغا و معرفت شناسى اصلاح شده»، حوزه و دانشگاه، ش ٢٤-٢٥، پايز و زمستان، ١٣٧٩ ش.
٨. كاپلستون، فردريك، تاريخ فلسفه، سيد جلال الدين مجتبوى، تهران، نشر علمى و فرهنگى و سروش، ١٣٧٥ ش.
٩. الكلىنى، محمد بن يعقوب، اصول الكافى، تهران، اسلامية، ١٣٦٢ ش.

١٠. المجلسي، محمد باقر، بحارالانوار، بيروت، داراحياء التراث العربى، ١٤٠٣ هجرية.
١١. ملكي ميانجي، محمد باقر، مناهج البيان فى تفسير القرآن، طهران، وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامى، ١٤١٤ هجرية.
١٢. ملكي ميانجي، محمد باقر، توحيد الامامية، ترجمة محمد بيابانى اسكويى و سيد مجلول سجادى مرندى، نبأ، ١٣٧٣ ش.
١٣. Calvin, john, Institutes of the Christian Religion, Edited by john McNeill and translated by Ford Lewis Battles, Westminster Press, 1960.
١٤. Plantinga, Alvin, Reason and Belief in God, in Faith and Rationality: Reason and Belief in God, eds. Alvin Plantinga and Nicholas Wolterstorff Grand Rapids, Michigan: William B.